مائة وعشرون متراً
عن البيت

مائة وعشرون متراً عن البيت

شعر

خالد بن صالح

منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
1433 هـ - 2012 م

ردمك 978-614-01-0566-9

جميع الحقوق محفوظة للناشرين

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING
editions.difaf@gmail.com
بيروت - لبنان

منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef
149 شارع حسيبة بن بوعلي
الجزائر العاصمة - الجزائر
هاتف/ فاكس: 676179 21 213+
e-mail: editions.elikhtilef@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشرين

إهـــداء ..

إليكِ..
نسيتُ أنَّني شاعر للحظةٍ واحدة
فكنتِ الأحلام كلَّها

إلى أمِّي
يا شجرة لا تميلُ إلا لتُقبِّلني حيّا أو ميِّتا

إلى صديقي التشكيلي صلاح الدين بن شنقارة
نبضاً خانه قلبكَ المتعب ذات صيف

إلى أصدقائي..
أكتبكم بحبر المحبة واحداً واحدا

ومن ينسى يدَه هُنا
ليُصافحني في كلِّ العابرين..

خالد

في كل مرة تبدأ فيها بكتابة قصيدة
تستحضر الموتى
يَرَوْنَك تكتب
يساعدونك

خوسيه إيميليو باتشيكو

Y cada vez que inicias un poema
convocas a los muertos
Ellos te miran escribir,
te ayudan

José Emilio Pacheco

المحتويات

الإهداء 5

حديثُ أموات

جنازة 11
سماءٌ بحبالِ غَسيل 12
كخيولٍ جريحة 14
أسماء طويلة كأرجل عارضات الأزياء 16
أُهدي هذه القصيدة لأيِّ امرأة 19
قبر في الخفاء 21
تاريخ شخصي 22
قصيدة فاسدة 24
غزل 26
طلقات صائبة 29

هواءٌ ثمل

قراءة 33
أجنحة إوزَّة بلاستيكية 34
كأنَّ هُدهداً تمتم شيئاً عن ساقها 36
خيانة 39
ما تبقى من قصيدة سابقة 40

لن يختلف الأمر 41
الطريق إلى الحاوية 43
غيمة بيضاء 44
محبة 45
ورشة بناء 46
آخر حكاية 47
خدعة 48
الفستان 50
ترقصُ كالآلهة في أسطوانة 51
الحياةُ جميلة 55
في يوم البوعزيزي 56
وارفةٌ للطَّيرِ في أرجائِها 57
غربة 58
مشهدٌ عنيف من فيلم قصير عنِ الحياة 60
بودلير في مقهى «بن التومي» 61
وصية 62
قبرٌ مهجور 63

الاعترافات الأخيرة لعائد من القبر

شكر خاص 79

حديثُ أموات

جنازة

لم آخُذ شاهدةَ القبرِ معي
تركتُها على الشرفة
..
ما من ظلٍّ نحيلٍ
يُرافِقني كالعادة
أو يَشتمني خلسةً
كصديقٍ،
لن يكترثَ
إذا ما دعوتهُ
- اليومَ -
مثلاً
.
.
لحضور جنازتي.

سماءٌ بحبالِ غَسيل

لمساء واحدٍ..
تأخرتُ عن موعدِ قطار الخامسة والنصف
ضاجعتُ المرأة النائمة إلى جانبي، في المنام
في الطريق إلى الحمّام تعثَّرتُ بجثتي
كان الماءُ دافئاً كالدَّم

.

.

مضوا
وأنا الغائب معهم
مضوا جميعاً يتخبَّطون في البانيو:

الميِّتُ الذي قال: أتشهَّى امرأةً بدينة جدًّا
جارَتي التي أحبَبتُها صغيراً كنتُ أعرِفُ أنها ستخونُني مع أقربِ الناس. أبي مثلاً
صديقي الَّذي يحِب قصيدةَ النثر، يَنسى يدَهُ بين أوراقي ليُصافحَ كلَّ العابرين...
ثمَّ لمساءٍ واحد أيضاً، صنعتُ سماءً بحبالِ غَسيل

رفعتُ فوقَها بيوتَ الفُقَراء

..

تجمهرتُ في ساحةٍ ما

خلعتُ رأسي

وهبته لأقربِ جائع

ببلاهةٍ.. راقبتُ أفكاري تصَّاعدُ سُحبَ دخان.

مرَّ المساءُ كشحَّاذٍ أنيق

وأنا أُفتِّشُ في جيبي عن قطع نقودٍ لأستبقيَه قليلاً

بينما وككلِّ مرَّةٍ

غادرَ ظلِّي رصيفَ المحطَّة

تاركاً يدهُ

مُعلَّقةً كمطرقةِ نجاة

فوقَ زجاجٍ أصَم.

كخيولٍ جريحة

تغفو تحت وسادَتها أحلامٌ مُتعَبة ورسائل
وشتائمُ ليلية
و
كذبات.

صرخةٌ زرقاء خلفَ نهارِها
تجوبُ أنحاءَ وحدتها بنهدين حائرين
وجينزٍ سريع الزَّوال
نظراتها تفكُّ أزرارَ القميص
تلاعب الهواء على غفلة من مُهرِّجٍ.. أُسمّيهِ قلبي
يميلُ فتغدو القصيدةُ نساءً يُشيِّعنَ جثَّة شاعرٍ إلى قبره.

لامرأةٍ، تنتابها نوبةُ بكاء في حمَّام قذر
لامرأةٍ، تنتابُني.. فتطلِق تأوّهاتٍ تُقشِّر سقفَ الغرفة
لامرأةٍ، تخلو إلى نفْسِها
وبها تمرُّ أصابعي خيولاً جريحة
سكاكينَ جفَّ عليها دمُ الخديعة

لامرأةٍ، بذكريات عازفٍ محترف فقدَ يديه في حروبٍ كثيرة
أقترفُها
لامرأةٍ نسيتُها في زحمةِ الكتب، أنفاسُها البِكر
حليبُ قُبلتي الأولى
لامرأةٍ جائعة،
تلتهم قصائدَ الحب والخُطوات الصغيرة
والطُّرقَ التي لا تنتهي بما يترك عاشقٌ خلفَهُ من نساء.

امرأةٌ تتركُ لها في القلبِ فتحةً.. تتسرَّبُ منها
تغويها لسعاتُ المطر
والحماقاتُ المنشورة كملابس داخلية
وما كان لامرأة ما..
ضفائر سوداء طويلة
كحبلٍ سُرِّي تمتدُّ
بين جثة الشاعر
والمقبرة.

أسماء طويلة كأرجل عارضات الأزياء

أنتبهُ أنني أسمِّي الأشياء بأسماءٍ تجعلُ ذراعي تلتفُّ حولَ رأسيَ كي تُخبِرَ الناس: ها أذني!

أستغلُّ تلكَ المسافة لأكتُبَ أحياناً نصوصاً طويلة يضيعُ في شوارعها وممرّاتها الضيِّقة أصدقائي

أساعدهم على تحمُّل الرِّحلة بقليلٍ من النَّبيذ الجيِّد والعطورِ المستخلصة من أصولٍ بعيدة وسجائرَ ألفُّها بيدي وأحرصُ أن تكونَ أنيقة وحارقة وأن لا أشبِّهها بامرأة جميلة تمرُّ على اشتهاءٍ صباحي بالقرب من طاولةِ المقهى.

كذلك تصلحُ المسافةُ لممارسةِ كلِّ الأفعالِ الشنيعة: أحبُّ، أرقصُ، أحِنُّ، أمْشي، أحلمُ، أشربُ، أكتبُ وأسمِّي الأشياء بأسماءٍ طويلة عادة ما أحشو بها ثقوب الذاكرة

لم أتعلَّمْ كجدِّي الأول الأسماء كلَّها

إنَّما رميتُ عقبَ سيجارة في كأسِ المارتيني ولا أعرف ما الذي حدث بعدها..

الأرضُ مسافةٌ كبرى تتجرأ نافذتي الصغيرة على دفعها للانتحار.. كأن أختارَ أمسيةً ممطرة أُقيمُ فيها عشاءً أخيراً لهؤلاء: طفلٌ تركه أبواهُ دون أن يهوِّدانه أو يمسِّحانه أو يمجِّسانه أو يجعلانِه مسلماً بالفطرة، مؤمناً أو ملحداً بالتساؤُل؟ تركاهُ بلا اسم قصيرٍ أو طويل أو حتى متوسِّط الحجمِ قليل النِّداء. بائعةُ هوى مالَ قلبُها المتعبَ الحزين لرجلٍ لم ينادِها يوماً بعاهرةِ المباني الخالية واختارا للطفلِ معاً قبراً نائياً. عاملُ النظافة يأتي متأخراً مصحوباً بنباحِ كلاب جائعة وشتائم ليليةٍ لا تُفارِق مَسْمَعي. بائعُ كتبٍ اختفى من على الرَّصيف ورحتُ في كلِّ مرَّةٍ أستحضِرهُ بقوة الخيال وأقتني من عناوينه المغبرةِ أطوَلها. مؤذِّنُ الحي الذي يجعلني أقطعُ المسافة بين الحلم واليقظةِ حافياً زارعاً لي في كلِّ خطوةٍ أذُناً ومكبِّرَ صوت. ستَّةُ فتيةٍ سابعهُم شاعر أغضُّ الطرفَ لأن لا يكون أنا، وتختلفُ الرِّوايات مَن لاعبُ كرة القدم فيهم؟ من صائدُ الفتيات؟ من عازف الكمان؟ من مؤلِّف النُّكت؟ من جامعُ الكتب؟ من صانعُ الأفلام القصيرة؟ من القائلُ: كم لبثتُ هنا وقد هُيِّئَ لهم أنِّي كنتُ من الأموات في المشهدِ الأخير.

القصيدةُ أقصرُ مسافة إلى قبرٍ من أسمِّيه عكسَ أشياء كثيرة: أنا!

هكذا أسمِّي الأشياء بأسماءٍ طويلة كأرجلِ عارضات الأزياء.

أخافُ أن أرى أجساد أصدقائي مشوهةً هنا، مفقوءةَ الأعين، مبتورةَ الأعضاء، مفقودةً ومرمية في شوارع خالية، أخافُ أن يحدث ذلك بينما أنامُ في حضن جملةٍ طويلة لم أعتبرها وصف شيءٍ ما، كالموت مثلاً أو القتل أو أي اسم جميلٍ قليل الأحرفِ، ثلاثياً أنيقاً كجثة، كنعش، كقبر..

أعودُ إلى الحياةِ بلا سبب وجيه

كأسُ المارتيني السيِّئ والسجائرُ الرَّديئة والأفكارُ المتورِّمة

لم تعد تشغل بالي كثيراً..

زوجتي في المطبخ هذا الصباح أجمل من كلِّ القصائد والعناوين والمسافات القادمة

وأنا بعد الصَّلب،

لم أعد شاعراً يتوسَّطُ سحابة دُخَّان

منشغلاً - عن الحياة -

بالبحثِ عن سببٍ وجيه للموت في الثالثة والثلاثين.

أُهدي هذه القصيدة لأيِّ امرأة

لن تهديَ مساءَك هذا لأيِّ امرأة

احفرْ في صدركَ خندقاً وانتظر أعداءَك حتى ينالهم الجوع

الفتاةُ التي سكبتَ لها دمكَ في كأسٍ من بلاستيك ستبيعُكَ بقطعةِ سُكَّر

ولا تريدُ من سمَّيتَها محنةَ العمرِ إلاَّ أن تلتهمكَ كسمكةٍ مشوية

ينقصُها فقط شاطئ بحرٍ، زجاجةُ فودكا

والقليلُ من الشعر الجاهلي

لا تفكِّر بالموناليزا.. تلك الابتسامةُ الجانبية مذبحةٌ لكلِّ القسوة التي تحتاجُها لتُخصي العالم

أسرِع الخطى ستفوتُك جنازةُ امرأةٍ زرقاء خلَّفْتَها وراءَك في بارٍ رخيص

رفضتْ يومَها أن تسلِّمكَ مفاتيحَها

هكذا في غرفةٍ تَقشَّرَ سقفُها انتقمْ من أطيافِهن تباعاً

التقط لها صوراً دامية لجدارك الأخير...

لن يحدثَ شيء في الرِّواق الطويل

ستفقدُ رأسَكَ الذي وهبته لجائعٍ لَفَّه في كيسٍ أسود وخبَّأهُ ليومٍ عصيب

ستجعلْ أصدقاءك يشمئِزون من كتاباتِكَ التي ابتعدت عن الشِّعر

ابتعدتْ عن أحلامِهم المصلوبةِ على نوافذَ مغلقة

عن الطيبةِ التي غادرت وجهك

غادرتْ يدكَ المقطوفة كفاكهةٍ هنا

وصدركَ المهيَّأ لمعاركَ مسائية

تنتهي بمجزرة

ومقبرة تسعُك وحدك.

قبر في الخفاء

وكلَّما رفَّ جناحُ امرأةٍ
حُفر قبرٌ في الخفاء
صاحَ ديكُ القبيلة
أنْ أوسِعوا الطريق ليمرَّ اللَّيل..
هناك أمٌّ تبكي في صمتٍ
وثلاث شواهد
نبتتْ في الباحةِ الخلفية.

تاريخ شخصي

لستُ القادمَ من عائلةٍ تنشرُ تاريخ أبنائها كل صباحٍ على حبل غسيلٍ قصير يختزلُ المسافة بين لسانِ أختي وأذنيْ جارتنا. لستُ ماسحَ الأحذية النَّحيل يحملُ على كتفه شمسَ يومٍ صيفيٍّ مليء بالأقدام والخطى التي تدهسُ روحَهُ ذهاباً وإيابا حتى يجنَّ الليل. لستُ حارسَ العمارة الأعرج يكيل الدنيا برِجله الناقصة ويركلها حين تضيقُ بالناس. لستُ متسكِّعَ الحيِّ يخفي وراء ابتسامته الصفراء قلباً أبيضَ كحفنة هيروين. لستُ سائق الحي صندوق النساء الأسود يروي حكاياتهن للجميع ويقسم أنها أسرار المهنة. لستُ وريثَ جدِّي الكادح القويَّ بأصابعه الطويلة وكفِّه خشنة الملمس. لستُ شبيه جدتي زرقاء العينين بلا وشوم على يديها أو وجهها إنما بذاكرة تدخلها كمقبرة. لستُ أُشبِه أبي دون صفاتٍ استثنائية ولا أمِّي حين تطلق من يديها فراشات ملوَّنة لتُقنِعني أنَّ الحياة ليست فيلماً صامتاً بالأبيض والأسود. لستُ توأمَ حبيبتي تُراوِدُني عن نفسِها لتكسر القوقعة من حولي وتفتحَ مساميَ المغلقة على عطرها الفرنسي ورائحة شعرها الذي يطوقني

كليلٍ لا ينتهي..

لستُ سوى هذا الهارب كبالون مثقوب من العائلة، عشّ طيرانه الأول.

قصيدة فاسدة

وإذ تنتشِلُني من ظُلمةٍ

ومن رطوبةٍ

ومن عفن

يدٌ موسيقية.

أخرجُ بلا كفن لا أبالي بما يقولُ النَّاس

عن شاعرٍ وضعَ قطعةَ لحمٍ فاسدة في حفرةٍ ومضى

تخيَّلها بعضُ الأصدقاء المهووسين ذَكرهُ وأنثاها النَّدية

تخيَّلها الشعراء منهُم قلبهُ المريض وقبراً وحيداً في العراء ثمَّ واصلوا السَّير

تخيَّلتها أمُّه التي لا تقرأ قصائدَه مولوداً جديداً ماتَ قبل المخاض وصارَ كلَّ هذا..

أختهُ التي تُؤمِن بالأشباح ولها غرفة بعدَّةِ مرايا صدَّقت أمَّها وأضافت للقصة لعنةَ أرواحٍ شرِّيرة

صديقتُه السَّاخطة على فراش الليل اعتبرتها نهاية الحكاية

وراحت تبحث عن رجلٍ لا يكتب الشِّعر
ولا يدفن أشياءه إلاَّ في فرجها..
هذه المرأة التي تنامُ إلى جانبي لفَّتني في ملاءةٍ بيضاء
وضعتْ قدميها في ماءٍ بارد
ومزَّقت جسدي قطعاً موسيقية.

كان الخنجرُ مايسترُو الأوركِسترا التي حضرَتها أشياءُ الغرفة من كتبٍ وسرير وصورٍ بالأبيض والأسود وعطورٍ نسائية ولوحات غير أصلية لمودلياني وخزانةِ ملابس وأريكةٍ وحيدة وتلفازٍ وستائرَ لا تستُرُ عورة المكان وزجاجاتِ نبيذٍ محلِّي الصنع وعلب سجائر فارغة وسجائر مبعثرة فوق كلِّ شيء، تحت الوسادة وبين الشَّفتين ووراء كلِّ محاولات الكتابة..

كنتُ ثقيلاً جداً كهواجسي
إذ انفلَتُّ من تلك اليدِ لأعودَ إلى ظلمةٍ
ورطوبة
وعفن
كقصيدة فاسدة.

غـزل

فكِّر فيها
قُلْها
كرِّرها مرَّة ثانية

لا يعلو عليها غير الدخان
كثيفاً
نحيفاً
مبعثرَ النَّوايا كجنديٍّ في ساحة قتال.

السيجارةُ
هل حفظتها
تناولتها
دخَّنتها
أكلتها؟

وبعدُ
وقبلُ
ما بين الشفتين
والأصابع
والأضلع
في الرئة حيث قطارٌ قديم يخترق الظلام

شعلةُ النار
قبسُها
جمرُها
رعشتها
نفَسُكَ الأول

تبغُها
رمادُها
حريقُها
ريقُكَ
وما جفَّ من وحل الطريق.

السيجارةُ
كن لها
ومنها
اسحب أنفاسكَ الأخيرة.

طلقات صائبة

اكتفيتُ بحياةٍ مليئة بالثقوب
لم تحمني يوماً من لسعاتِ الشمس
ولا من غضبِ الريح
وألسنةِ الناس
.
.
من رصاصٍ طائشٍ
من عتمةِ النساء
ولا مما يصيبُ القلبَ الخاويَ كعلبة بيرة
من طلقاتٍ صائبة.

هواءٌ ثمل

قراءة

في الحافلة
في المسافةِ بين مدينتين
ظهيرةَ يومٍ صيفيٍّ قاتِل
وملصقاتٌ "ممنوعِ التدخين" تملأ الممرّ
كانت تُمسِكُ بكتاب أزرق صغير
اجتمعَ في عنوانِه كلُّ المتعبين مثلي
وكانوا يسعلون
مثل الملائكة.

أجنحة إوزّة بلاستيكية

المطر منذ ليلتين
بلّل أجنحتنا..
برج إيفل في زجاجة أدهشكِ مراراً
ورحتِ تتعرّين على ضوئه الأزرق
عندما انتقيتُ لك أجنحةَ إوزة بلاستيكية
ريشُها قصيرٌ جداً.

بين جدرانِ مقهى صغير اكتشفنا لهفتنا المشتركة للطيران
الدُّخان ساعدنا على نسج ذكريات جميلة:
عباس ابن فرناس يركب المترو ويقرأ لوفيغارو
انتبهنا بعد أكثر من سيجارة إلى خبر في الجريدة عن انفجار سيارة مفخخة وسط بغداد
فتاة باريسية تقع في حب أبي نواس، تُعلِّمه الرقص الكلاسيكي والكاماسُوترا
كان يُروِّض نمور رغبتها بسياطِ شِعره وبخمره يصنع لها أجنحةً صغيرة وسماء

فـي إحـدى ليالـي باريس الباردة طارت الفتاة فوق نهر السـين
وهي تغني «وارفةٌ للطّير في أرجائِها»
كانت السماء مضيئة، عندما تلصَّصنا على همسات ميلان فارمر
المفترشة صدر عنترة العبسي
ما اعتبرناه خيانة شعرية فقط
أغنيـة «الكلمـات» لم تنسـجم مـع الدماء المتطايرة من سـيف
وجسد شاعرنا الأسود
لكن أبيات من المعلقة كانت كافية لإخماد نار التَّمييز العنصري
عجـوز ومعهـا كانيـش أبيض تطوِّقه ربطـةُ عنق حمراء وجرس
من ذهب، كانا آخر من غادر المقهى
الضوضاء خفتت تماماً حولنا والموسيقى غادرت إلى رجعة.

في الخارج كانت سماء القرية الكئيبة تمطر
أثناء مشينا ملتصقين
في الغرفة كانت كلُّ الأشياء مرمية على الأرض حتى جسديْنا
العاريين
تقاسيمُ عودٍ تُدْنينا..
ونباحٌ في الأعماق يصعد بنا عالياً.

كأنَّ هُدهداً تمتم شيئاً عن ساقها

تستفيقُ مِن حُلمِك نِصفَ ثمِل
تُلصِق ذكرياتِك على السَّقف
بالترتيب
من الأقرب إلى الأبعد
وتنشِد:

لا شجرة تحمل في عروقها ترابَ الأرض
ولا جسدا خاليا من روح الرَّب
بإمكانهما صناعة قبر أنيق.

تتذكر حكمة أن يكون قلبك علبة كارتون
يفترشها الموتى والمشرَّدون وعابرو السبيل
تُزيحُ جسدَك المرهقَ من السرير
تمضي إلى الحمَّام
بعينين نصف مُغمضتين
تتأمَّل المرآة
وتبتسِم لشرخٍ يقسم وجهك نصفين.

فرشاةُ أسنانك مبللة ووحيدة
قارورةُ مزيل العرق هادئة وفارغة
الماءُ المنهمِر على جلدِك دافئ ولا يوحي بشيء
كرسي تُغطي ظهرَهُ منشفةٌ تتناثرُ على حوافها شموسٌ صغيرة
تعرِّي الكرسي وتلفُّ جذعَك بعرشٍ من القطن
فكرةٌ على شكلِ خاتمٍ تجتاحُ إصبعَك
كأنّ هُدهُداً تمتم في أُذنِك شيئاً عن ساقِها
المرأةُ التي تناهى إليك اسمها في هيئةِ حلم
وتعدّد في أفواه العابرين،
قتلتكَ بنصفِ ابتسامة
حين خرجتْ من حلمِك مبلَّلة.

الكأسُ الأخيرة كانت موحية
كجريمة تفيء إلى مرتكِبها
كتابٌ خفيف على الطاولة
نافذةٌ نصفُ مفتوحة
عجوز هجرَها أولادُها ترافِقُها نظراتُك إلى المقبرة
كلبٌ نائمٌ عند مدخلِ العمارة يَصلُحُ لحراسةِ أفكارِك من الضياع

نبتةٌ تهفو لكوبِ ماء
فنجان قهوة لا يرافقه الدخان
ظهرُ امرأةٍ نصف عاريةٍ غارقة بأكمَلِها في النوم
يدٌ بأصابع نحيلة تتسلَّل تحت الملاءة
أحمر الشِّفاه كثير الاستعمال
يُدوِّن على ظهرٍ عارٍ مكوِّنات صباحٍ متأخِّر.

خيانة

كيف لسريرٍ هشٍّ
أن يصمدَ في غرفةٍ ضيِّقة
تُعشِّشُ في مسامِ جدرانها
أسرابُ الشَّهوة؟

ما تبقى من قصيدة سابقة

أقلُّ الأشياءِ اشتهاءً
أن تُقبِّلَ امرأةً
وهي تُفكِّر فيك.

لن يختلف الأمر

مطرُ الظهيرة وكأس الفودكا الأول والسيجارة الأخيرة بعد محرقة منتصف النهار وابتسامة عاملة النظافة من وراء زجاج المكتب المتَّسخ والسيد فان غوغ معلقاً بأذنٍ واحدة على جدار من ذُرة وامتزاج اللحظة الواقعية بغنجِ القصيدة وساقُ امرأةٍ اشتهيتها صغيراً تُحرِج كائنات الخيال وحذاء المدير يجولُ في رأسي بينما كان يؤذَّنُ للصلاة والخبز الحافي لمحمد شكري ومدن الملح لعبدالرحمن منيف وموسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح وكُتب تكدَّسَ فوق عناوينها الغبار واللَّعنات المجانية تماماً كقولنا صباح الخير لشخصٍ لا نحبه. أنا أحبُّ الناس كلّهم ومع هذا لن يختلف الأمر كثيراً عندما أشربُ كأس الفودكا خلسة وأشعل في الرواق الطويل آخر سجائري الملفوفة وأغمزُ لعاملة النظافة ممعناً النَّظر في مؤخرتها من خلف زجاجٍ لم يغسله المطر، غير مبالٍ بنظرات السيد ذو الأذن الواحدة معلقاً على جدار لا يوحي بشيء من امتزاج اللحظة الواقعية بسحر القصيدة وقد خرجت من قبعتها ساقُ المرأة

خرطومَ فيلٍ إفريقي لم يحرجه دهسُ المدير في رأسي، في حين ضاعت الصلاة بين عناوين روايات أحببتها كقولنا مساء الخير لشخص نحبه. أنا لا أحبُّ الناس كلّهم ولهذا يختلف الأمر كثيراً عندما أجمعُ في قصيدة واحدة مطر الظهيرة وكأس الفودكا الأول والسيجارة الأخيرة بعد محرقة منتصف النهار.

الطريق إلى الحاوية

لنذهب اللَّيلةَ إلى حانةٍ رخيصةٍ ونسكر بأنخابٍ نوزِّعُها على زوربا الذي تُحبّينه وباولو كويلو الذي أكرهه وصولاً إلى جارنا الفلسطيني وأرملة الصحفي النحيلة وما غاب عنَّا من أسماءِ غرباءٍ لم نتحدَّث إليهم وخبأنا ملامحهم خلسةً في ذاكرتنا.. وإذا ما أسعفتنا جيوبُنا لسُكْرٍ أعظم دعيني أتغزَّلُ بكِ، كما لو أنَّكِ امرأة أخرى لا تغار من أرامل زوربا المجنون، لا ترمق جارنا الطبيب بنظرةٍ شبِقة عند كلِّ زيارة، لا تفتحُ النار عليَّ كُلَّما ابتسمتُ في وجه الأرملة ليلاً وأنا أهمُّ برمي القمامة، لا تضغطُ على يدي في الشارع كي أغضَّ عن كلِّ غزالةٍ عابرة. وأعدكِ، قبل الكأس الأخيرة سأكونُ رجلاً آخرَ لا يهتمُّ بخزعبلات صاحب الخيميائي، لا يخفي عنكِ سرَّ تواطئه مع الطبيب الذي كان يهمُّ برمي القمامة عندما سمعَ تأوهَّات الأرملة بالقربِ من الحاوية.

غيمة بيضاء

لن يُخبِركُم عنِّي أحد
ستطفو على جداري في الفايسبوك غيمةٌ بيضاء
تلطِّخُها ضحكات ملائكة غير متعبين
تبدو من نوافذ أصدقائي القدامى
أسرابَ غربان حزينة تحملُ اسمي بعيداً
..
وفي صبيحة واحدة
ينسى النَّاسُ صوتي عبر أمواج الأثير
تنساني الهاوية التي رافقتني منذ صباي
وامرأة ثلاثينية
تكتفي بمسح دموعها بأوراق قصائدي
وتدخين ما تبقى
من سجائري الرديئة.

محبة

قلبيَ الأخضر

النَّدي

المليء بمحبةِ العالم

يُشبِهُ ضفدعاً..

حُشِرت بين شفتيهِ سيجارة

.

.

فـ انـ فـ جـ ر.

ورشة بناء

الكادحون منذ الساَّعات الأولى للصَّباحِ في ورشاتِ البناء
يقيمونَ الجدرانَ بعدَ الحُفرِ ويفتحون النَّوافذَ لتدخُلَ الشمسُ
دون إذن
يبصقونَ تعبَهُم في غرفِ النَّوم التي سنتضاجعُ في زواياها
ونصرخُ ونشخرُ ونبكي
يدخِّنونَ في كلِّ الأمكنة ما عدا دورة المياه. هناكَ حُرمةٌ أزلية
تصاحِبُ المكان..
يلقونَ الشتائمَ من الشرفاتِ الفارغة ويتراشقونَ بالنُّكت البذيئةِ
في وضحِ النهار
يخبِّئون قِصَصَهُم الحزينة في مسامِ الاسمنتِ قبل أن يجفَّ
يتأمَّلونَ شقوقَ أياديهم الخشِنة عندماَ يمسُّها الماء
يشفقون - وقد تفحموا - على سكانِ علب الكبريت هذه
أو
علب السردين وقد صرنا سردينها.

آخر حكاية

وأنا أبحثُ في تفاصيل آخر حكاية سمعتها عنكِ، وجدتُكِ ملقاةً على حافةِ الطريق. لم تكوني جثَّة هامدة ولا جسداً نحيلاً أنهكه التَّعب والتشرد. لم تكوني أميرةً أصابها الملل من حياة القصر وفاجأها نداءُ القلب شغفاً بقصص وصيفاتها المشاغبات. لم تكوني أُمّا أرهقها انتظار زوجها الذي ابتلعته الحرب ولم تلفظه ساحاتُها لا حيّاً ولا ميِّتا. لم تكوني امرأة رسمت أحلام الحب بأنفاسٍ حارقة ومرَّت عليها الأربعون في صمتٍ دون رجل. لم تكوني عاهرةً في سنِّ التقاعد تحصي رجالها الحمقى الذين تجاوز عددهم حبّات المسبحة العالقة في يدها. لم تكوني كائناً خرافياً سكنَ أحلامَ المراهق وكوابيسَه وراح يبحثُ عنه في تفاصيل آخر حكاية.

خدعة

الخدعـةُ الوحيـدة التي أوقعُ نفسـي فيهـا وأصدِّقها لا فرق
بينها وبين من ماتَ ولم يزل يحلُم بالرقص
وإنَّني متُّ بقدرةِ شاعر. فلا حرج.

تسـتطيعين ركـوبَ الخيل وظهـورَ الرِّجال وأحلامَ العصافير
والوسـائدَ المحشـوة بريـشِ النعـام والكمنجـاتِ الحزينـة
والأجنحـةِ المتكسِّـرة لنبـي والحافلة القديمـة ودراجة مرام
المصري الهوائية وعربة تضيعُ في شـوارع غرناطة وتقرئين
من مقصورتها الملونة: هناك عراك في الخارج(*). ولا حرج.

تتعوَّدينَ دون معارضةٍ على صديقات الفايسبوك والمسنجر
وإيمايلات الياهو والرسـائل المحمومة والكلمات السـرية
بأسـماء نسـاءٍ لم تسـمعي بهنَّ من قبلُ والقبلَ الافتراضية
والصُّـورَ الخليعة لزوجاتٍ حقيقياتٍ والكلماتِ البذيئة من
شاعراتٍ أتقنَّ صياغةَ النص كما يُشتهى له أن يكون عارياً

(*) عنوان المجموعة الشعرية الأولى للشاعرة اللبنانية سمر دياب.

ومتفلتاً كجسد هائج. ولا حرج.
تشتمينَ الخطوط الهاتفية ورصيد الموبيل والأوراق النقدية البالية والتغطية الضعيفة بين المطبخ والصالون والمسجات المتأخرة والأرقام المجهولة وتلك الخارجية والمسجَّلة برموزٍ تبعثُ على الشكِّ وما يرنُّ منها بصور قلوبٍ وردية وتفاح لم ينضج. ولا حرج.

تقرئينَ بلهفةٍ كل القصائد والمخطوطات التي لم تكتمِل ومشاريعَ الكتابةِ المتوقفة لأسبابٍ تتعلَّق بجفافِ الروحِ وإفلاس العقلِ وانتهاء صلاحيةِ موادٍ أساسية في القلب والنزولِ بالطائرات الورقية بدل السماءِ إلى حدود البطنِ في مجرى النَّهدين والفرج. ولا حرج.

لماذا تغارين؟ ليس سوى أنا، من ماتَ ولم يزل يحلُم معكِ بالرَّقص
مَن له القدرة على قتلِ نفسهِ بنفسِه مِن غير حسابٍ ولا عقاب
حبيبتي هكذا خُلِق الشعراء حمقى وسُذَّج. فلا....

الفستان

حينَ فكَّرتُ في كتابة شيءٍ آخر، لا علاقة له بما مضى من الشُّبهات والتلميحات وهيِّن الكلام.. لم تخطري في بالي كاملةً كما عهدتكِ، تتسلَّلين عاريةَ الجسدِ إليَّ، مزدحمةً بنساءٍ مررن على عجلٍ منّي، مُحطَّمةَ القلبِ كسفينةٍ خانها الحظُّ وأحلامُ القراصنة في يومٍ بعيد.. احترتُ في البداية كأيِّ شاعرٍ تخونُه الموهبة كيفَ أخيط من بقايا فستان سهرتك لجاماً لرغباتي؟ لأنَّنا غالباً ما نهربُ من الذكرياتِ الأليمة بتزييفِها.. الفستانُ مثلاً، لم يكن سوى قطعةً غالية الثمن، تلبسها امرأة نحيلةٌ من بلاستيك، منزوعة الشَّعرِ، ترمقُ العابرين بابتسامةٍ غامضة من وراء فِترينةِ محلٍّ فاخرٍ في شارعٍ صاخبٍ وسط العاصمة.. عيناكِ تلمعانِ رغبةً في اقتنائه ويدُكِ تضغط على يدي المتأهبة لكسرِ اللحظةِ والخروجِ منها بأقلِّ الخسائر.

ترقصُ كالآلهة في أسطوانة

1

يا لا لايّ..
إسباني هذا اللَّحن، الخمورُ روسية، الدُّخان أمريكي
والكلماتُ بينها فرنسية
النَّصُ بلا عنوانٍ أو هوية والشاعرُ محلِّي.. يا لا لايّ..

سأخذِلُ الأصدقاء وأضعكِ فوقَ اعتقادِهم بأنْ أستنزفَ جُملي الشِّعرية فيكِ
وأدسَّ شهقاتِكِ اللَّيلية في أسِرَّتهم
سأملأ جيوبهم بأعقابِ السَّجائر التي لم تُكمِليها
وبأنصافِ الأغنياتِ بعد كأسكِ الخامسة
وبنارِ قدميكِ الرَّاقصتين فوقَ جسدي المحموم أفقأُ عيونهم ليُحبُّوكِ أكثر بعد رحيلي.. يا لا لايّ..

أحاولُ المشي وأنا أفكِّر بكتابةِ رواية ألتقي في نهايتِها بظلِّي.. يا لا لايّ

ياسمين ليفي ترقص كآلهةٍ في أسطوانة
أتصرَّف كعاشقٍ أحمق فقد يديه في آخر رقصة
ألوِّحُ برأسي للعابراتِ جهةَ الجحيم ولا أبتسم لغيرك.

2

الحفلةُ في منتصفها
الوطنُ معلَّقٌ كشاةٍ مذبوحة
الأغنياتُ تفتِّش عن أصحابها في آخر اللَّيل
أعترف بأنَّ الكتابة جرحُ طفولةٍ سهت عنه أمِّي فكَبر بداخلي
سبقَ وأن حدَّثتُكِ في مقهى "ترانزيت" أننا كلُّنا عابرون..
الذبابـةُ التـي ظلَّت تحـومُ حول فنجان قهوتِـك ذكَّرتني بطنين
أوَّلِ قصيدةٍ كتبتُها
الطنين صارَ لحناً داخلياً قبل أن يتحوَّل إلى سُعال
زجاجُ المقهى كان شاشة سينما سيِّئة الصُّنع
النـاَّسُ فـي الخارج أبطـالٌ غير مبالين بنظراتنـا التائِهة.. تلتقطُ
حركات أجسادِهم
النـادلُ مخـرِجٌ فاشـلٌ وأنـت معـي ككومبارسـين فاتهما موعدُ
التجربة
في الحقيقةِ التي تلبسُ معطفاً شتويا في عزِّ الصيف ولم أعرِّها
بعد،

فاتتنا أشياء كثيرة غير تلك التمثيلية الساذجة.. تَذكُرينها؟

3

أعودُ إلى الحفلة
بعد المنتصفِ بقليل وكان لا بُدَّ أن..
أضحكَ بما يكفي
أشربَ وأدخِّنَ وأسعلَ وأبوحَ بأحشائي دون خجلٍ
أن.. أصرخَ وأشتمَ وأخلع ذراعي وأرميها في وجهي على المرآة
أغنِّي لأزعجكِ وأنت مستلقيةً على الأريكةِ تقرئين: هل تأتينَ معي؟
...
بينما عيناىَ تجولان فوق جسدِك بين قطعتين شفافتين
تضيعُ كلماتُ الأغنية منِّي. لا أتذكَّر سوى هتافي مخموراً: يا لا لايّ..
أسقطُ أرضاً،
ويبدأ العرض
.
..
...

تنتهي الحفلة
وحيداً
أعودُ لأكشف عورتي بالمكان
هنا في هذه الحفرة المظلِمة جداً
لا أسمعُ بعد الترابِ
غير قدميكِ الحافيتين
تودِّعان شاهدة القبرِ إلى غير رجعة.

الحياةُ جميلة

في هذا الفراغِ المعلَّب
مُنتهي الصَّلاحية
ببكتيريا
.. تمتطي أحصنةً من هواءٍ فاسد
وتطلقُ صرخاتِ النَّصر
في ساحةِ جسدٍ
كان لي.

أعتقد أنَّ الحياة جميلةٌ
كتفاحة ينخرُها الدود في كلِّ مرَّة
يقضمها طفلٌ جائعٌ في حيٍّ شعبي
يلتهمها الجنديُّ قبل حصة القنص
ينهشها الفتى كنهد صديقته في الخيال..

وحدي
لا أعرفُ مصيرَ التفاحة
ولا ما تبقى من جسدٍ
لم يعد لي.

في يوم البوعزيزي

تضيءُ ظلمة الدُّرج الخشبي الضيِّق حاشيةُ جُورنال قديم
كُتِبَ عليها:
فاقتلوني واحرقوني
بعظامي الفانيات(*)
ثم مرّوا برفاتي
في القبور الدارسات

أستحضرُ صرخة "ظافر يوسف" في إحدى ساحاتِ تونس
بدلَ فيِّينا
أجمعُ تفاصيلَ المشهد الذي يحملني إلى هناك
بينما، وعلى أنفاس سيجارة ملفوفةٍ في البياض
أجلسُ هنا دون أن أرفعَ عينيَّ إلى أزرقِ الله.. متأمِّلاً
حُبيبات الرَّملِ ترسمُ بداخلي متاهةً جديدة.

(*) الحسين بن منصور الحلاَّج.

وارفةٌ للطَّيرِ في أرجائِها[*]

اسمُ بارٍ في آخرِ المدينة
حلمٌ أعمى يمشي حافيَ القدمين
أجنحة إوزة بلاستيكية
فينوس تقفُ كعاهرة في أحدِ شوارع باريس
وهكذا..

.. انتهى درسُ الكاماسُوترا يا صغيري..

قالت الفتاةُ،

قبل أن تحلق عالياً..

(*) أبو نواس:
وارفةٌ للطَّيْرِ في أَرْجائِها كَلَغَطِ الكُتّابِ في اسْتِمْلائِها

غربة

على بعدِ 120 متراً من الباب الخلفي للبيت

باب آخر.. أخضر

ممرات تضيق بالنَّاس

أطفالٌ فضوليون

قطط عطشى

وذباب عنيد

يتبع النَّعش.

الكلُّ يترحم على فلان بن فلان في تمتمةٍ لاسمي

اسمي الذي حملتُه معي

أو حملني معه إلى حياةٍ سابقة

بينما كان الشاعر منِّي..

يلتقط ما تيسَّر من الكلمات

ليكتبَ قصيدة أخيرة

يغرسها بجانبِ القبر

فسيلةً ستكبرُ

وتعمِّر

في الغياب.

مشهدٌ عنيف من فيلم قصير عنِ الحياة

لم أثق بها كما يجب
تعلَّمتُ الركضَ خلفها وتحمُّلَ الألم
وبابتسامةٍ حمقاءَ
تعلَّمتُ أيضاً التستُّر عمّا أجهلُ منها
حتى سقوطي الأخير
في هذه الحفرة المظلمة.

لو كان لي
لاغتصبتُها على مرأى من النّاس
ثُم.. أشعلتُ سيجارتي اللَّعينة
ولوَّحتُ لكلِّ معارفي بقطعة القماشِ تلك،
قبل أن أدسَّها بين طيّاتِ كفَني
وأعود إلى القبر
خائباً
كما في المرَّة الأولى.

بودلير في مقهى «بن التوهي»

تعلَّمتُ حملَ السِّكين هنا
وكجندي ساذج لم يحظَ بتدريبٍ جيِّد جرحتُ نفسي مراراً
طعنتُ أصدقائي المقرَّبين بالخطأ، وفقأتُ أعينَهم الجميلة
ترحَّمتُ على قبورِهم الفارغة
علَّقتُ قطعاً من ثيابهم في شجرة الكلام وسقيتُ أزهارَ الشرِّ بدمائهم النَّقية

..

وبالخطأ أيضاً اقتلعتُ الشَّجرة وذبلتْ تلكَ الأزهارُ بداخلي

تعلَّمتُ هنا كيف أقتلُ الشَّاعر دون خطأ
وأكوي جرحاً قديماً سمَّيتهُ الكتابة

..

ليتوقَّف هذا النزيفُ الآن
وينام الأحِبَّةُ هانئين من شروري.

وصية

بيني وبينكِ

مدنٌ محترقةٌ وشوارع مغلقة وبيوت مدمَّرة وجثث متفحِّمة ورؤوس مقطوعـةٌ ودمـاءٌ مراقة ووجوهٌ مشـوَّهة وسـيارات مشتعلة وأخرى لإجلاءِ الضحايا ونداءاتُ استغاثة وشعاراتٌ مناهِضة وكتابات على جدرانٍ مهدَّمة، أتذكَّر منها: جائعون للحرية..

اليومَ
وقد متُّ بسلام
التقطي صورةً لذاكرتي هذه
واحرقيها بنارِ شمعٍ أحمر
ثمَّ فوقَ رمادها
- عاريةً -
أرقصي.

قبرٌ مهجور

لم يزرني أحد
الحماماتُ التي بنَتْ أعشاشَها الخضراء هنا
ليست نذيرَ شؤم
ولا تنوي الإقامةَ خلفَ هذا السِّياج
هي باقيةٌ
فقط، لتُوهِمَ الغرباء
أنَّ المكانَ
مجرَّد قبرٍ مهجور.

الاعترافات الأخيرة
لعائد من القبر

1

لا تتساءلي، ولا تمنحي غيرك حق المعرفة. كلُّ الحكاية مجرَّد إدعاء. كأن يخرجَ أحدهم صباحاً ليشتري جريدة فيقع في حبِّ دبابة وسط الشارع. لا أحدَ يعرف ما ينتظرهُ وراء الجدار، النوافذ منذ الشتاء الماضي مغلقة والأبوابُ بلا عيون سحرية لتمنحَ الخارجَ إلى حربٍ مجهولة حق العودة. الأمور محسومة سلفاً ولا وجود لما يسمى شعرياً بحالة حصار. ثمَّ لماذا أنتِ شاحبة هكذا ولا تحاولين الاتكاء على كلمة طائشة مما أقولُ كي تزيحي هذا اللبسَ الذي اعتلى وجهك الصباحي الجميل. صحيح لم نشرب قهوتنا بعد، رغم أن البنَّ المتبقي فقد رائحته الذكية وحتى السجائر أصابها الضرر من هواء الغرفة وثقل الهواجس.

أذكر كيف كنتِ تطاردينني بالأزهار مثل بطلة فيلم "الساعات" مسز دالوي وأهرب إلى النافذة العالية مدفوعاً برغبة الانتحار المتأصلة في الشعراء. أتماطلُ في ارتداء بذلة سوداء بربطة عنق نحيلة وأنا كالطفل المتردد، أرفض الذهاب إلى الحفل.

وأتخيلُ جسدي المنهك يدخل مدرسة الحياة لأول مرة. يتعلم أبجدية المصافحة والابتسام والمجاملة بالعيون وتقطيب الحاجبين.. وكيف يقولُ شكراً بالأجنبية دون أن تتحرك الشفتان أو يخرج اللسانُ كاشفاً أسنانَ سنوات طويلة من الشرب والتدخين والكتابة.

أذكرُ كيف أوقعتك في فخِّ الكتابة. وصارَ شعركِ القصيرُ أحجية أستعيدها كل مساء، كفُّكِ اليمنى حظي الذي لم أعثر عليه خارجَ تلك الخطوط الوردية. عيناك بحري الذي غطيتُه بأوراق النعناع وحرمتُه من زرقةٍ غادرت قصائدي إلى حين. جبينكِ طريقي المزعوم إلى الله. شفتاك مآل جحيم اصطناعي، تفتحان أبواب جنة ما، بابتسامةٍ صارت هي الأخرى فراشي وكفني. أذكرُ هنا، أنَّ هذا الوصف لم يعجبكِ ولما كان مكتوباً بطبشور أبيض سهل مسحه ونفض الغبار بعيداً في العراء.

أستعيدُ الشاعر اليوم، لأرتكب ما استطعت من الحماقات. ولأثبت أنَّ هذا السقف الهشَّ الآيل للسقوط في أي لحظةٍ، أقوى مما يحتملُ رجلٌ وامرأة جمعهما ألبوم صور ودفتر عائلي. بينما مزقت أيامهما العائلة، والقصائد ونشرات الأخبار.

صحيح هذا حديث سرِّي للغاية. ولا يليقُ بنصٍّ أدبي يكتبُ بالطبشور على سبورة تحتل ركناً من الغرفة. حسناً ربما الممسحة ما يمنحني هذه الرغبة في الكلام. وفكرة الغبار المحلق تمنحني شيئاً من الاطمئنان، عندما أعرف أنَّ ما أكتبه سيذهب أدراج الريح. ولا يتبقى منه غير القليل مما تحفظُ الذاكرة.

2

أستعيدُ جسدي الذي لا يعرف المجاملة حين يجمعنا عريٌ. أستعيد جسدكِ الذي يتقنُ الإيديولوجية حين يتعلق الأمر بصراع الرغبات، لا شيء يضفي على العالم صفةَ الجمال غير مضاجعة عنيفة بالقرب من حاوية القمامة، حيث يميلُ ضوء عمود كهربائي ليكشف مصدر مواءٍ يشبه الأنين. في مشهدٍ آخر، لمسافة مائة وعشرين متراً من باب المقبرة تمضي المرأة العجوز يرافقها ظلٌّ عادة ما يُرى متكئاً أيام الجمعة على جذع زيتونة، كأنه ينتظر مرورها بعد الظهيرة، ليؤنسَ وحدتها القديمة. أتساءلُ ما نفعُ الكلماتِ التي نجمِّعُها في صناديق ورقية ولا تصلح للحظةٍ كهذه.

ربما وحدكِ تدركين ألاعيبي في تعريف الحياة، الموت، الكتابة، أصدقاء المقهى، الشعراء.. لن أكرِّرَ ما قلتُ سابقاً عن إله أصابه الضجر، فاخترع الحروب والمسرحيات. هناك

دائماً أبطال ترافقهم الجماهير، بالتصفيق أو الشتمِ أو القتل وطبعاً الموت. دعيني أزيحُ عن عينيك الناعستين خصلة الشعر هذه، أنظري جيداً في عينيَّ، ماذا ترين؟ لن أغضب، تكلمي بكل حريةٍ.. ويسعدني أن أسمعك تتمتمينَ: أرى جرذاناً مذعورة تجري في كل الاتجاهات، يطاردُها أناس جائعون. أرى ضفادع مفقوءة الأعين تقفز في النار، ثم تُلتهم دفعة واحدة. أرى أشجاراً تحترق وتبحث عن الإيقاع لترقص رقصتها الأخيرة. أرى حناجر متعفنة بأصواتٍ مبحوحة تبحث عن صداها الأول. أرى طرقاً تتلوى، مصابيحَ تنطفئ تباعاً، وشموعاً تحتضر. أرى ما لا عينُ غزالةٍ ترتدي قميص نومٍ رأت، وما خطر على بال شاعر.

أما أنا، فتشغلني فكرة أخرى، بعيداً عن لوحاتكِ الجميلة المحشورة بموهبة رسامة محترفة في بؤبؤي عينيَّ، كم خصب وندِيٌّ خيالك لكنني مضطرٌّ لأن أقطع حبل المودة بيننا، وأعلنَ عدائي لكل ما يصدر عنك من تصرفاتٍ أنثوية. أريدكِ أن تستعيني بكامل الحقد الموجود في العالم لتغرسي أصابعك العشر في صدري، هناك حيوانٌ أليف أريدُ أن أتركه كهدية أخيرة لك. ضعيه في قفص حديدي، داخل أكواريوم،

على رفٍّ صغير، في الثلاجة، أو في درج خزانة غرفة النوم.. أنّى شئتِ، المهم أن لا تبقيه من حيث اجتثتهُ يداك الناعمتان. هكذا سأصيرُ خفيفاً، عدائيا بما فيه الكفاية لأكتب نصاً طويلاً أفتحُ فيه النار على كل شيء. حتى عنكِ جميلتي وعنيِّ.

لا تأبهي بمأكله ومشربه. تكفيه بقايا الأشياء. تسعده أعقاب السجائر التي خلَّفتها شفتاك بعد ليلة حمراء. رغوة الخمرِ في كؤوس السهرة وما تجمَّع في قاع الفناجين من قهوة صباحية. يحبُّ فتات الكلام والهمس آخر الليل. تنعشه الذكرياتُ حين يرتفعُ صوتُ المذياع فجأة، وتصله بحةُ صاحبه في نشرة الأخبار. يستعينُ كي ينام بصراخِ ابن الجيران وصخب التلفزيون وما يصدر عن كعبك العالي من طقطقات في الرواق المظلم. لا يزعجهُ أن يصدر جسدك تأوُّهاتٍ ليلية يُصاحبها نباحُ كلابٍ عابرة في الشارع ومقطوعة صوفية تأتي من مكان مجهول. فقط لا تسمعيهِ موسيقى تصويرية على خلفيةِ "لقطة نقية جداً" بعد أن تأخذيه "إلى السينما" مع لميس سعيدي وتقرئي له بصوتٍ دافئ مقاطع من "مشهد الأفلام الرديئة".. لأن في ارتعاشِ جدرانه الهشة، وهو الحيوانُ الأليف الذي لا شكل له، إثارةٌ للمشاعر الدفينةِ، تلكَ

التي نهربُ منها كي يُقالَ عنا أنتم شعراء حداثيون.

تسـألينَ بخبثِ امرأة خرجت للتـو من حلمٍ غـارقٍ في الوحل:
عن أي فكرةٍ تتحدث؟

3

لنروي قصصنا الساذجة هنا، نضيفُ لها خيبةَ يوم واحد في هذه المدينة الإسمنتية، القليل من الثقوب التي تزيِّنُ أرواحنا الضالة وشيئاً من الأكاذيب. كأن نقولَ مثلاً: التقينا في يوم ماطرٍ وكانت السماءُ قريبةً لنقطف غيوماً خضراء وأحاديث سرِّية لملائكةٍ تناولوا قهوتهم باكراً ودخَّنوا الكثير من السجائر في انتظارِ أن تتقاطع نظراتُنا ويهمسَ أحدنا للآخر: ها أنت..

"صباحُ الخير" كانت كافية لنُلحِق كلَّ هذا الأذى بالعالم. ونتحول إلى كائناتٍ تحترفُ الألم، تحشوهُ في قصائدَ لا يقرأها أحد. أو تطليهِ على الجدرانِ وترمي بسهامه السقفَ الأعزل في غرفةٍ تزوجنا فيها لنُكمل مشهداً إضافياً لمسرحية: الحياة خرقة بالية.. تحتاجُ إلى أشياءٍ أخرى لا علاقة لها بالشعر كي تصيرَ: بساط الريح السحري.. وها نحن، ينقصنا بابٌ موارب، نافذةٌ مفتوحة قليلاً وضوء خافت لتنطلي حيلتنا المشتركة على من ينصِت بإمعانٍ لهذا الهذيان.. صحيح لم

أخبرك ولعلك تدركين ذلك أنَّ الفضول يتملَّك عامة الناس، حين يتعلق الأمر بشجارٍ عنيف بين رجلٍ وامرأة، ترميه فيه بمنفضة السجائر، وزجاجة البيرة الفارغة، وحذائها الأرجواني، ومزهريةٍ مقلَّدة وتمثال بوذا صغير وكتاب الأعمال الكاملة لوديع سعادة وما يقعُ في يدها اليمنى من أدواتٍ للزينة كمشطها العاجيَ ومرآتها الفضية وأحمر الشفاه، أصدها كلّها بذراعيَّ وأصابع يديَّ مجتمعةً، لا خوفاً من خدشٍ أو جرحٍ أو كدمةٍ أو ندبة أعلى الجبين.. إنَّما لأداري فرحاً غامضاً وأنا أحترق بحمى بركانٍ لا أدري كم صليتُ في السرِّ كي ينفجر.

لا أذكُر سبب الشجار الدامي ليلتها، وقد حدثتُكِ بإسهاب عن إعجابي بأفلام "غونزاليس إيناريتو" القليلة، خاصةً "21 غرام" وتكرار المشاهد بشكلٍ استباقي، كما لو أنَّ الحياة ذاكرةٌ مستعادة. والكاميرا التي تتحرك بلا هوادة كأنَّ الكتف التي تحملها أرهقها تصدع أبطال الفيلم. أو لنقل كي نجمع اللقطات المتلاحقة في لوحة كولاج متسقة مع أسطورة الغرامات الواحدة والعشرين تلك. حدثتك لساعاتٍ ولم أذكر أنني كتبتُ نصاً يحملُ نفس العنوان وحذفته من مجموعتي الثانية بعد أن جعلتُ منه محاولة فاشلة لتركيب مشاهد محذوفة. نعم، المجموعة التي ستقرئين فيها أشياءَ أخرى قد لا

تعجبكِ وقد نتشاجر لأجلها مرة ثالثة ورابعة وخامسة.. حتى يأتيَ هذا البركان الخامدُ الذي أشتهيه الآن عليَّ وعلى كلِّ شيء من حولي.

لا أدري كم مرَّة رجوتكِ أن تخبريني بماذا أرميكِ حين أغضب؟ بماذا تحبين أن تُضربي ويسيلَ دمكِ ساخناً من شدة الألمِ والصراخ، وهل تفضلينَ لعبة شدِّ الشعر وتمزيق الجلد بالأظافر والأسنان؟ أم يعجبكِ سماع تكسير العظامِ باليدين الهائجتين وما تخلفه قدميَّ من بقع زرقاء وبنفسجية على جسدكِ القمحي؟ في الحقيقة أراها طرقاً مستهلكةً وربما سبقني إليها غيري من الرجال والشعراء وحتى الرسامين الذين أحنُّ إليهم.. لذلك سأعمل بنصيحة جدتي المقعدة وأكشفَ أسرارَ عشرتنا القصيرة وما سربتُ منها إلى هنا، في شكلِ أنفاسٍ متقطعة وقُبلٍ طازجة ودموعٍ مُباغتة وسعالٍ مألوف ومواءٍ غريب وهمسٍ منحدر من أعلى الشهوة وضحكاتٍ وشتائم وأحذية وملابس داخلية وبقايا قصائد تستندُ إلى لسانٍ رخو.

أعترفُ أنَّكِ تمتلكينَ قدرة رهيبة لأسري بين أشيائك الساذجة، بينما تتجمعُ الخيبةُ تلوَ الأخرى في الخارجِ لتمنعَ عنّي الرؤيةَ والنظر والتطلعَ إلى ما بعد هذه النافذة المزيَّنة بستائر موعودة

بأطيافِ من رحلوا.. وما أكثرهم هذا العام. تضيقُ الظهيرةُ حتى لا تسعَ سوانا وفنجان قهوةٍ وسيجارتين وبعض الفقراتِ ذات الريتمِ السريع من رواية سمير قسيمي "يوم رائع للموت" وذكرياتِ وصية قديمة بيننا..

وها أنا..

تافهٌ في سرّي

تائهٌ أكثر

أجرُّ أحلامَ العمر كعربةٍ سحرية

أنا حمارُها الذَّهبي

أجزمُ أنها خاتمة حمقاء لمغامرةٍ أردتها أطول من انتظاري ومن رجليك حين تطوِّقان جسدي النحيل وتتلاعبُ قدماك الحافيتان بهواءِ الغرفة الثَّمل.

حانَ دوريَ الآن لأسأل: ما الذي جعلني أعودُ من القبرِ بعد موتي الأخير؟

شكر خاص

لمن تحمَّلتْ معي عبء غدوي ورواحي في مسافة المائة وعشرين مترا.. وكنتُ كمن يغيبُ عن الحياة ويعود إليها من أجل قصيدة جديدة خلال أكثر من ثلاث سنوات: زوجتي الغالية التي قرأتني بعين الغريب حرصا على الشعر في هذا الكتاب.

إلى الغالي زياد عبدالله على قراءته ومحبته وكل من لميس سعيدي، رنا زيد، نوري دومي وسمير قسيمي على ما جمعنا من تفاصيل شعرية وإنسانية لم تفارقني أثناء الكتابة من الاستهلال وحتى الاعترافات الأخيرة.

كما أشكر كل الذين آمنوا معي بحلم صدور كتابي الثاني هذا: كارول و يارا المصري، نهلة لَينا فضيلي، علي أبي طالب شريف، عبود سعيد، أمال قورايـة، بشير مفتي، سِكاب سويرجو، محسن القيشاوي، عماد بن صالح.
لكم جميعاً أقول شكرا من القلب.

كتبت قصائد المجموعة
بين نهاية 2008 ومنتصف 2012

خالد بن صالح
bensk05@yahoo.fr